معهد الآثار الألماني
قسم الشرق الأوسط - فرع بغداد

خمسون عاماً من الأبحاث الأثرية في العراق

١٩٥٥ - ٢٠٠٥

Deutsches Archäologisches Institut
Orient-Abteilung – Außenstelle Baghdad

50 Jahre Forschungen im Irak

1955–2005

مقدمة

تأسس قسم بغداد التابع لمعهد الآثار الألماني في ٢٨ شباط/فبراير ١٩٥٥، ولم ترتبط بموعد التأسيس هذا أية احتفالات خاصة كما أن هذا الموعد لم يكن بداية للأبحاث الأثرية الألمانية في العراق، وإنما أصبح هذا القسم لأعمال التنقيب الألمانية الطويلة الأمد في العراق، والتي ابتدأت عام ١٩٩٨ مع الأبحاث في بابل، مقراً تعود إليه في نفس البلاد. لذلك فإن تأسيس قسم بغداد هو بحقيقته تدعيم للمساهمة الألمانية في العراق ونهاية لخطط تأسيس فرع للمعهد هناك منذ ثلاثينيّات القرن العشرين، ولا يفهم هذا التأسيس على أنه بداية جديدة.

إن مرور خمسين عاماً على قسم بغداد مناسبة لنلقي نظرة على نتائج وأهداف عمل فرع بغداد الخارجي، ومن المؤسف أننا لانستطيع في هذه الظروف السياسية الحالية في العراق أن نقوم باحتفال وعرض لهذه الأعمال كما كنا نأمل ونخطط. ونستعيض عن ذلك بسلسلة من المحاضرات في وزارة الخارجية في برلين وكذلك بهذا الكتيب لنظهر، هنا في ألمانيا، التعاون الذي يجري منذ أعوام طويلة بين معهد الآثار الألماني والمؤسسات العلمية في العراق في مجال علم الآثار والتاريخ. وهكذا فإننا سنستعرض في هذه المناسبة كل الأعمال والأبحاث الأثرية التي قام بها معهد الآثار الألماني في الخمسين عاماً المنصرمة قدر الإمكان في ضوء تقويم جديد للنتائج.

لقد ساعدت وزارة الثقافة العراقية والزملاء العراقيون بشكل كبير في تأسيس قسم بغداد منذ خمسين عاماً. ومنذ ذلك الوقت يتكثف التعاون مع المؤسسات العراقية وتتمتن العلاقات الطيبة بالزملاء العراقيين حتى في الظروف السياسية القاسية. ويعود ذلك من ناحية إلى الهيئة العامة للآثار والتراث في العراق والعاملين فيها، الذين لم يعطوا موافقتهم وحسب لأبحاث فرع بغداد الخارجي وإنما تابعوا هذه الأبحاث على مدى عقود طويلة وباهتمام كبير وقدموا لها كل الدعم الشخصي الممكن. ومن ناحية أخرى فإن الفرع الخارجي في بغداد يرتبط بتعاون وثيق مع قسم الآثار، كلية الفنون في جامعة بغداد، هذا التعاون الذي أدى إلى تبادل مكثف للباحثين والمنشورات وإلى القيام بأبحاث أثرية مشتركة. ونتقدم هنا بالشكر لكل المديرين والعاملين في كلية الفنون وقسم الآثار على اهتمامهم الكبير بالتعاون العلمي الألماني العراقي. وللأستاذ الدكتور عبد الإله فاضل، المختص في الدراسات الآشورية، فضل كبير في أن التعاون طويل الأمد والذي تم الاتفاق عليه عقدياً عام ٢٠٠٠، قد وجد طريقه إلى التنفيذ الفعلي في الأعوام العشرة الأخيرة.

لقد وضع المدير المؤسس لقسم بغداد هـ. ي. لينتسن منذ البداية هدفاً علمياً بعيداً في دراساته وأبحاثه في مجال التاريخ القديم للشرق الأدنى، وأحد أهم مراكز ثقل هذه الأبحاث كان وما يزال، ولا شك، هو الدراسة الوافية لأوروك، عاصمة العراق ومركزه في عصوره الأولى. وبالإضافة إلى ذلك، فقد استأنف فرع بغداد أبحاثه الحقلية في بابل بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٧٣. وقد وسّع المديران ي. شميث و ر.م. بوهمر الأبحاث جغرافياً وزمنياً ووضعا بذلك خطوطاً جديدة للأبحاث. وقد أدت أعمال المسح في شمالي العراق وفي الصحراء إلى الغرب من نهر الفرات وكذلك بعض أعمال التنقيب الإنقاذية في مناطق مشاريع السدود المائية ودراسات صغيرة أخرى في أمكنة مختلفة، إلى إلقاء الضوء على تاريخ العراق بشموليته، كما ركزت هذه الأبحاث على العلاقة بالحضارات المجاورة وعلى الطيف الزمني منذ العصور الأولى في بلاد ما بين النهرين حتى عصر الإسلام الوسيط.

تم تدعيم هذه التوجهات بخطط علمية جديدة وضعها معهد الآثار الألماني وقسم المشرق. فالتبادل الحضاري مع المناطق المجاورة وعمليات بناء المدن والدول وكذلك إدارة الموارد في المناطق الجافة، كلها تقف في مقدمة الاهتمامات بالأبحاث التاريخية.

لم يكن هذا الأداء الجيد والناجح للدراسات والأبحاث في فرع بغداد الخارجي ممكناً لولا الصداقة الطيبة لعدد كبير من الزملاء والعاملين العراقيين. ونذكر بهذه المناسبة، إلى جانب الهيئة العامة للآثار والتراث وجامعة بغداد اللتين سبق ذكرهما، بشكل خاص الزملاء الدكتور فؤاد سفر (†) والأستاذ الدكتور فوزي رشيد والأستاذ الدكتور صبحي أنور رشيد والأستاذ الدكتور مؤيد س. دامرجي والدكتورة بهيجة خليل اسماعيل والدكتور دوني جورج يوحنا والدكتورة نوال المتولي والدكتور صلاح رميض والدكتور أحمد كامل، بالإضافة إلى جميع العاملين العراقيين مع معهد الآثار الألماني في بغداد وفي أوروك.

نود أن نتقدم بالشكر الجزيل أيضاً للسفارة الألمانية في بغداد ولوزارة الخارجية الألمانية لما قدّمتاه من دعم ومساعدة وما أبدَتاه من اهتمام ومتابعة لأبحاث فرع بغداد الخارجي. وقد كانت زيارات العديد من الدبلوماسيين الألمان إلى موقع أوروك الأثري عاملاً لنشوء صداقات طويلة الأمد وارتباط وثيق مع وزارة الخارجية الألمانية، وهذا ما جسد بوضوح وبشكل نموذجي الطاقة السياسية على الربط بين السياسة الثقافية الخارجية والعلوم الحضارية الألمانية.

كذلك يستحق كتّاب المواضيع التي بين أيدينا شكراً خاصاً لعملهم القيّم. لقد كانت الظروف السياسية في الأعوام الخمسة الفائتة عاملاً مثبطاً للطيف الواسع المقرر من الأبحاث والدراسات العلمية، مما كان سبباً في إنهاء الكثير من مشاريع فرع بغداد الخارجي قبل ما هو متوقع أو مخطط. وقد أبدى المديران الأولان لقسم بغداد، الأستاذ الدكتور ي. شميت والأستاذ الدكتور ر.م. بوهمر، استعدادهما بكل رغبة وحماسة للحديث عن أبحاثهما الماضية، على الرغم من كونهما الآن يستحقان الراحة بعد تقاعدهما عن العمل.

كما يعود الفضل بإخراج هذا الكتيب في موعده إلى الجهد الكبير الذي يبذله العاملون في قسم المشرق. فقد وضعت السيدة المهندسة كلاوديا بوريغ تفاصيل مسودة الإخراج والخرائط.

أما السيدة إرمغارد فاغنر فقد أعدت بحِرفيّة عالية الرسوم والجداول للطباعة، كما أشرفت السيدة فيرينا دايبر على الترجمة إلى العربية. وقامت السيدة الدكتورة إميلي شالك بترجمة النصوص إلى الإنكليزية. أما السادة هاني صالح وعصام بلوز ونبيل حفار فقد تولوا الترجمة إلى العربية. ونحن نتقدم بشكرنا الجزيل لهم ولدار درغام للطباعة ش ل م، بيروت، على إخراجها السريع والجيد لهذا الكتيب.

الدكتورة مارغريت فان إس
مديرة الشؤون العلمية في قسم الشرق
والمديرة المفوضة لفرع بغداد

أوروك / الوركاء

Uruk-Warka



أعمال التنقيب والحفريات في أوروك / الوركاء

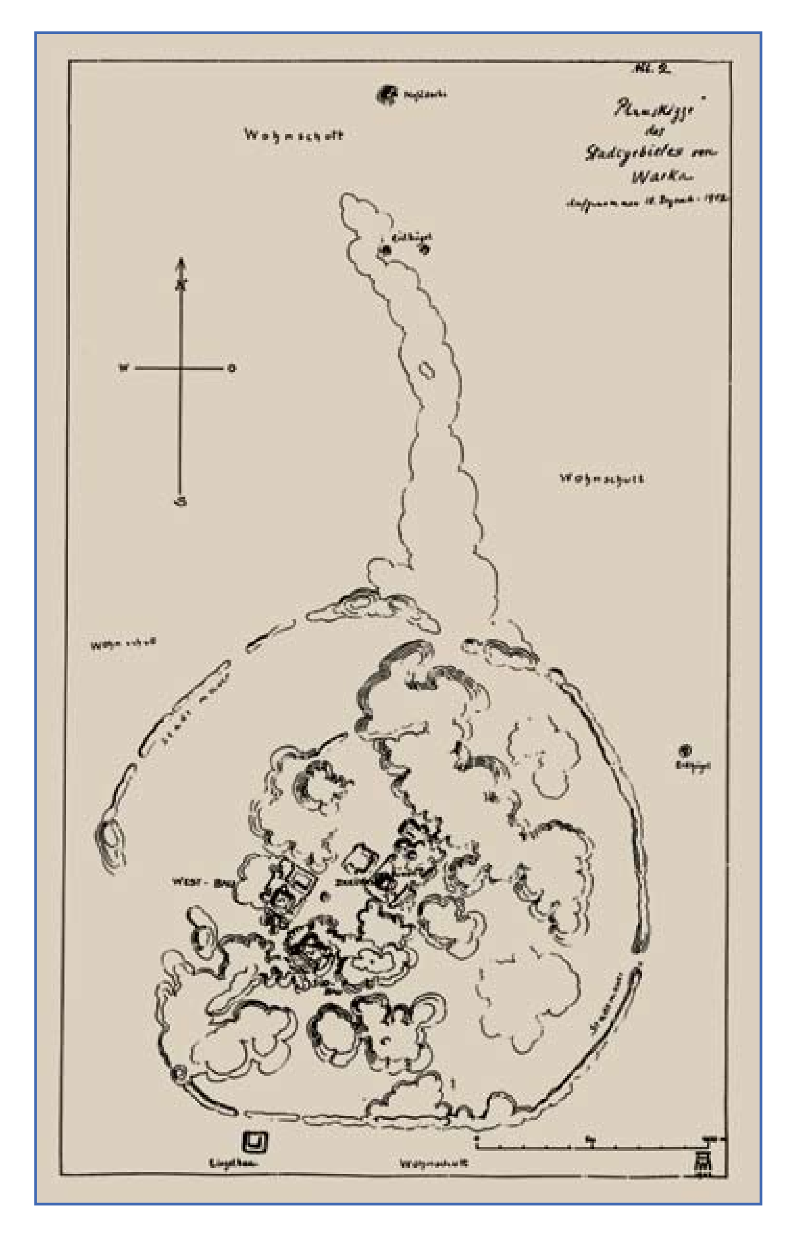
أوروك / الوركاء من أوائل المواقع الأثرية في بلاد ما بين النهرين، التي تم التعرف إلى اسمها القديم. وتنعكس أسماؤها القديمة «أونوغ» السومري و «أوروك» الأكادي مع الاسم الذي ورد في التوراة «أرَك» في اسمها الحالي «الوركاء». وقد قام السير و.ك. لوفتوس في عام **١٨٥٣** بأولى أعمال التنقيب والحفريات الأثرية التي استطاع أن يستخرج منها بعض التوابيت الشبشبية البارثية وبعض القطع المكسورة من البيوت البارثية، وكذلك بعض اللقى الصغيرة والآجر المختوم التي أخذها معه إلى إنكلترا. ومع التعرف على اللوح الحادي عشر من ملحمة كلكامش تم التوصل إلى معرفة أن هذه المدينة كانت مدينة الملك الأسطوري كلكامش والذي كانت أعماله البطولية موضوع هذه الملحمة.

أما الأبحاث الأثرية المنهجية فقد ابتدأت في عام **١٩١٢** بعد أن زار و. أندريه الموقع الأثري مرة أخرى في عام **١٩٠٢** وطلب بإلحاح من عالم التاريخ إدوارد ماير، على وجه الخصوص، أن يعمل على هذا الموقع الذي كان يأمل منه الكثير من المعرفة حول العصور القديمة لتاريخ بلاد ما بين النهرين. وقد أرسل ر. كولدواي من بابل جوليوس جوردان إلى أوروك، بتكليف وتمويل من جمعية المشرق الألمانية، للقيام بأعمال التنقيب والحفريات اللازمة.

انصب الاهتمام في حفريات شتاء **١٢/١٩١٣** بشكل أساسي على الأنصاب الأثرية في «بيت ريش» حيث عثر على قطع من الآجر المطلي كما هي الحال في بابل، كما قد حصلت سرقات شاملة قبل وقت ليس بالطويل، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أعاق إكمال هذه الأعمال بعد الشتاء الذي بدأت فيه، ولم يكن بالإمكان الاستمرار في هذه الأبحاث إلا في شتاء عام **١٩٢٨/١٩٢٩** بعد أن بذل و. أندريه كل ما في وسعه وبعد أن أصبح مديراً لمتحف الشرق الأدنى في برلين، للحصول على مساعدة جمعية الأزمات للعلوم الألمانية، ومن جديد عاد جوليوس جوردان ليتولى الإشراف على أعمال التنقيب. وقد تركز الاهتمام في البداية على مركز المدينة حيث تقع الزقورة والساحات المحيطة والهياكل والمقرات الإدارية ومعابد إنّا. وهنا ظهرت تحت الأبنية والساحات التي تعود إلى الألفين الأول والثاني قبل الميلاد، بقايا الأبنية التي كانت ولا تزال تشكل خصائص مميزة لأوروك ومنها بقايا المعبد المركزي الذي يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد مع تعاقب من الطبقات ومنشآت متنوعة، بالإضافة إلى بعض الأبنية التي تعود إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد والتي عرفت بـ «معابد عصر أوروك الحديث». استمرت أعمال التنقيب في المركز حتى عام **١٩٧٧** وأمكن الوصول بسرعة نسبية إلى زقورة المدينة الثانية والتي تعرف بـ «زقورة آنو» والواقعة إلى الجنوب الغربي من منطقة إنّا التي تمت فيها أعمال بحث وتنقيب على مدى أعوام طويلة. إن أهم ما يمتاز به هذا الموقع هو عمره القديم، إذ ثبت وجود هذا المعبد منذ عصر عُبيد الحديث (في أواخر الألف الخامس قبل الميلاد). كما أن الأبنية الترميمية والجديدة التي طرأت على هذه الزقورة في عصر أوروك اللاحق تدل على استمرارية هذا الموقع الديني.

جرت أيضاً أبحاث صغيرة أخرى في معابد مثل «إيريغال» (**١٩٣٢–١٩٣٦**) من العصر السلوقي – البارتي (من القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الأول بعد الميلاد)، ومعبد «غاريوس» البارتي الذي أسس في القرن الأول بعد الميلاد (**٣٣/١٩٣٤** و **١٩٦٨–١٩٧٣**)، وكذلك أيضاً في قصر «سين–كاشيد» البابلي القديم (**١٩١٢، ٥٨ – ١٩٦٤**)، بالإضافة إلى بعض المناطق السكنية بشكل محدود. كما أن الدراسات القصيرة التي جرت على سور المدينة الشهير في الألف الثالث ق م (**٣٤ – ١٩٣٦**) والتوثيق الزمني لدار الاحتفال بعيد رأس السنة (بيت أكيتو) من أيام البابليين الحديثين إلى

> أوروك، القسم الشمالي الشرقي من المدينة، الصورة الجوية غ. غرستر /
/ Uruk, nordöstlicher Stadtbereich, Luftbild G. Gerster
Uruk, northeastern area of the city, aerial photograph G. Gerster



> خريطة مدينة أوروك، و. أندريه ١٩٠٢/
Plan of the city of Uruk, W. Andrae, 1920 / Stadtplan von Uruk, W. Andrae 1902

السلوقيين في الشمال الشرقي خارج المدينة (١٩٣٣، ٥٤ – ١٩٥٥)، بينت أهميتها العلمية الكبرى، ولابد من الاستمرار بها.

لقد أمكن تمويل الأبحاث التي تم استئنافها عام ١٩٢٨، على الرغم من الصعوبات الاقتصادية، والاستمرار بها حتى شتاء ١٩٣٩/٣٨ (حملة التنقيب الحادية عشرة). وقد أشرف جوليوس جوردان على حملة التنقيب الأولى حتى الثالثة، بينما أشرف أرنولد نولدِكه على الحملات الرابعة حتى الحادية عشرة، إلا أن إرنست هاينريخ أشرف على الحملة السادسة خلال ذلك، وقد ساعد في كل الحملات تقريباً كل من هاينريخ ياكوب لينتسن وإرنست هاينريخ. أما العمل فكان يتم عادة في أشهر الشتاء منذ تشرين الثاني حتى آذار. وكان طاقم العمل الصغير نسبياً يتألف من اثنين إلى ثلاثة اختصاصيين في تاريخ العمارة، وهم الذين كانوا يشرفون على مواقع الحفريات ويقومون بالرسم التوثيقي لِلُّقى المكتشفة. كما أن اختصاصياً بتاريخ المشرق القديم كان مسؤولاً عن إجراء الجرد وفهرسة كل اللقى الصغيرة، وبشكل خاص لقى الكتابات المسمارية. بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك مصور للتوثيق بالإضافة إلى اختصاصي بالترميم وصنع أشكال لِلُّقى ونقل المكتشفات المعمارية بحِرفيّة جيدة كما هي الحال مع عدة واجهات حجرية نقلت إلى المتحف العراقي في بغداد ومتحف الشرق الأدنى في برلين. وهكذا فقد كانت أعمال التنقيب في أوروك، مثل سابقاتها في بابل وآشور، بشكل رئيسي في أيدي اختصاصيين بتاريخ العمارة. إلا أن هناك فارقاً أساسياً فنياً واحداً عن بابل هو أننا هنا في أوروك نتعامل مع عمارة وهياكل من الآجر تتتابع بعضها خلف بعض في طبقات متلاحقة ربّما لا تكون سماكة إحداها أحياناً إلا سنتمترات معدودة. لذلك كان من الضروري أن يجري تطوير طرق دراسة الطبقات عما كانت عليه في بابل وآشور لتصبح على شكل مراقبة تفصيلية في أوروك ولتكون أعمال ترميم الآجر بشكل أدق. وتعتبر عمليات التوثيق بقلم الرصاص لبقايا الأبنية المعمارية في أوروك من أدق عمليات التوثيق التي جرت في مواقع تنقيب كبيرة حتى الآن. إلا أنه كان هناك نقص منهجي بالغ تجلى في أن عدد الباحثين كان قليلاً بالنسبة



لعدد العمال الكبير الذي كان يبلغ أحياناً المئتين والخمسين، وهذا ما نتج عنه عدم إمكانية فهرسة اللقى الصغيرة بشكل مفصل وتحديد موقع اكتشافها بشكل دقيق، وقد أدى ذلك إلى فقدان صلة الكثير من الأدوات الأثرية مع المواقع المعمارية.

استمرت أعمال التنقيب في أوروك بعد الحرب العالمية الثانية تحت إشراف هـ.لينتسن منذ شتاء ١٩٥٤/٥٣ وأمكن الاستمرار بها سنوياً حتى ١٩٧٧. وكان لابد من تأهيل عمال جدد لهذا الموضوع وإيجاد التواصل مع الأعمال التي تمت قبل الحرب وبقيت متقطعة لسنوات طويلة. وقد تم توسيع مناطق التنقيب القديمة، وخاصة في الشمال الغربي والغرب ولاحقاً إلى الشرق من منطقة إِنّا، باتّباع مخططات علمية متغيرة وذلك استناداً إلى طبيعة المناطق المختلفة في المدينة كالبيوت الخاصة والعامة والمقابر ومناطق الحرف اليدوية، ما استلزم أيضاً ملاءمة منهجية التنقيب مع هذه الخطط. وأعطيت أهمية إضافية لمراقبة التوافق بين الاكتشافات المعمارية والطبقات التي يتم التنقيب فيها مع اللقى الصغيرة والفخاريات المتعلقة بها. وقد شاركت السيدة إيفا شترومنغر، كأول اختصاصية في علم الآثار، في الأعمال الحقلية عام ١٩٥٩، وذلك في أعمال التنقيب التي تدل على استراتيجية البحث المختلفة في كل

> و.ك. لوفتوس، كسر من خشبات بناء من أوروك/
W.K. Loftus, fragments of entablature from Uruk / W. K. Loftus, Gebälkfragmente aus Uruk

من قصر سين–كاشيد وفي الطبقات العمرانية خارج المدينة، وكذلك في البيوت البابلية القديمة والحديثة في المركز، ومن ثم في الهياكل التي تعود إلى السلالات الأولى في أوروك في مناطق ١١/١٢ k/L و ١١٣ ضمن المدينة وأيضاً في مقابر فريحات النوفجي السلوقية خارج جدران المدينة. وقد قام ي. شميت بالتركيز على التسلسل الزمني للمراحل العمرانية القديمة والحديثة في أوروك، حينما ابتدأ في عام ١٩٦٨ بدراساته في زقورات آنو وفي أعمال التنقيب التي جرت في البيوت السلوقية البارثية والعمارات البارثية الحديثة والساسانية خارج المدينة. وقد أعطت دراساته نتائج مترابطة ومعلومات جديدة هامة حول تاريخ مدينة أوروك وعمرانها ومعابدها.

بعد ذلك أدى خروج ي. شميت وانخراط قسم بغداد في أعمال التنقيب الإنقاذية في منطقة حمرين، ثم اشتعال الحروب منذ عام ١٩٨٠ بين العراق وإيران وفي الخليج، إلى توقف أعمال التنقيب المنتظمة في أوروك / الوركاء. مع ذلك استمرت بعض الأعمال الحقلية الهادفة ما بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٤ وقام أو. فينكباينر، بتكليف من القسم، بإجراء مسح منهجي لكل منطقة مدينة أوروك أسفر عن رسم خرائط كاملة لكل البقايا العمرانية التي أمكن التعرف إليها، مما أدى إلى فهم جديد لهيكلية هذه المدينة. واعتماداً



> المعبد غ (عصر أوروك الحديث)/ Temple G, Late Uruk period / Tempel G (Späte Uruk-Zeit)

على نتائج هذا المسح جرت أعمال تنقيب بإشراف ر.م. بوهمر في العامين **١٩٨٥** و**١٩٨٩**، حيث تمت دراسة المراحل العمرانية التي لم يكن معروفاً عنها حتى ذلك الوقت إلا النّزر اليسير : المراحل العمرانية في نهايات الألف الثالث قبل الميلاد (من العصر الأكادي حتى عصر إيسن / لارسا) وكذلك



> مخيم الحفر ١٩٢٨/ Expedition House complex, 1928 / Das Grabungsgehöft 1928

الطبقات العائدة للعصر البابلي الأوسط. ثم بعد ذلك تسببت حرب الخليج (**٩٠/١٩٩١**) والحصار الذي ضرب على العراق بفترة انقطاع جديدة طويلة لكل الأبحاث الحقلية. وفي عام **٢٠٠١** حصل الفرع الخارجي في بغداد على الترخيص بمتابعة أعماله الحقلية. واستكمالاً للمسح الأثري الذي جرى في الأعوام **١٩٨٢ – ١٩٨٤**، وبمساعدة مميزة من قبل دائرة الآثار العراقية، أمكن إجراء قياسات مغناطيسية وحفر آبار جيومورفولوجية في عامي **٢٠٠١** و **٢٠٠٢** أدت إلى تعريف أفضل وأدق لهيكلية المدينة وهيكلية أحيائها المختلفة ومهامها دون اللجوء إلى حفريات إضافية. ولكن كانل لم تلبث الحرب التي اندلعت مجدداً في عام **٢٠٠٣** أن أوقفت مسيرة هذه الأعمال، ولكن من المقرر أن تستأنف مرة أخرى حالما يسمح الوضع الأمني بذلك.

ابتدأت أعمال التنقيب في أوروك عام **١٢/١٩١٣** بمشورة لوجستية من قبل بعثة بابل، كذلك تم إحضار عمال الحفر والتنقيب ذوي الخبرة من بابل إلى أوروك، كما تم تدريب عمال من عشائر جبير وطوبه العربية المقيمة بالقرب من أوروك. وقد طُلب إلى شيوخ هذه العشائر تسمية حراس مسؤولين عن هذا الموقع الأثري وذلك لتقسيم الأجور بالتساوي قدر الإمكان. وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات البسيطة في بعض الأحيان فقد استمر هذا النظام سارياً حتى أعوام الثمانينات. أما اليوم فعشيرة الطوبه هي التي تتولى أمر مسؤولية حراسة هذه المنطقة الأثرية.



> معالجة الآجر الطيني / Preparation of mudbricks / Lehmziegel-Präparierung

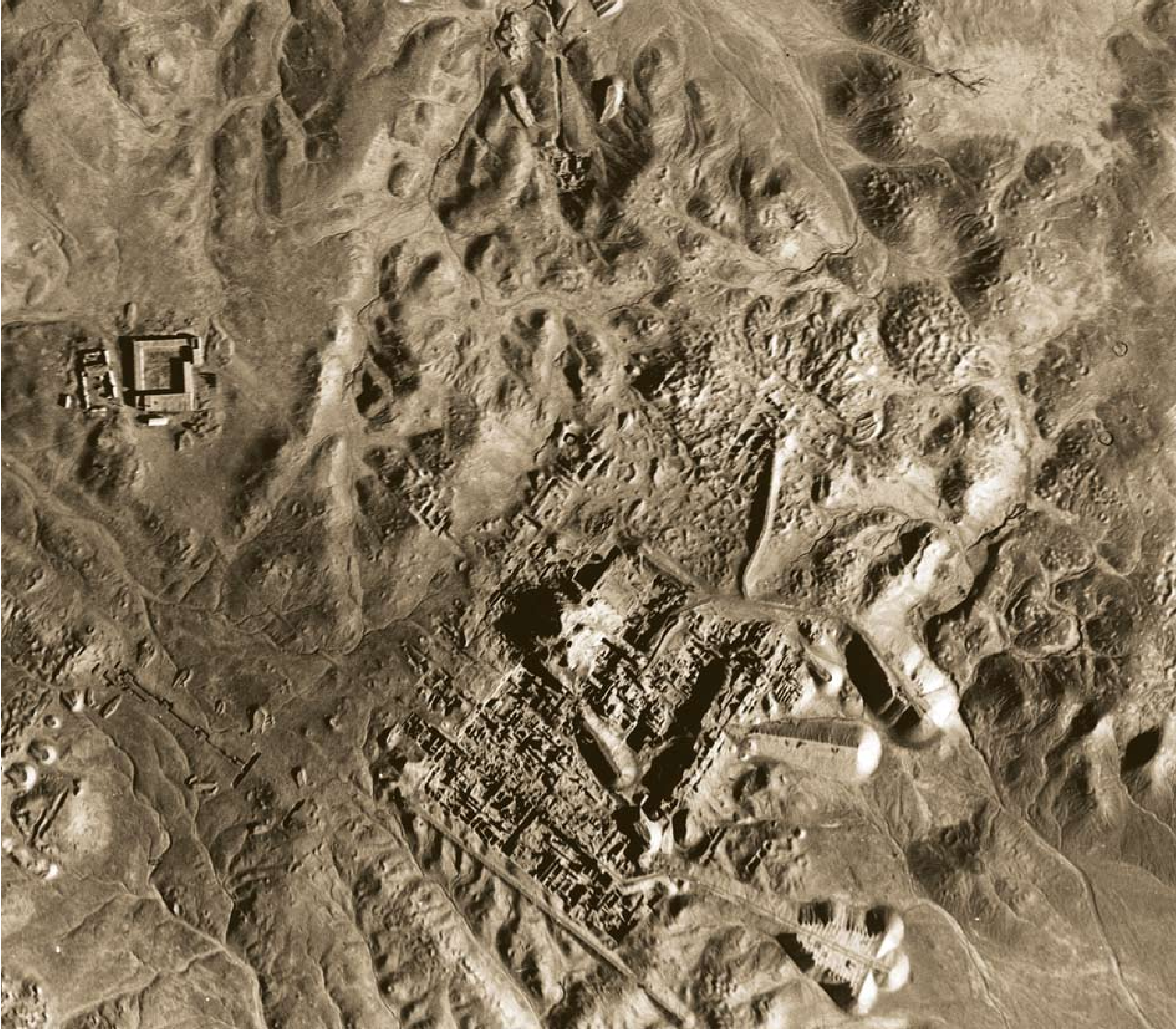
وقد ساهم ثلاثة من العاملين العرب في بعثة الوركاء بشكل خاص ومميز في نجاح الأعمال الحقلية والحفاظ على هذا الموقع الأثري :

كان اسماعيل بن جاسم من الحلّة أوثق العاملين العرب صلة بهذه البعثة منذ عامَي **١٢/١٩١٣** وقد ساهم قبل ذلك بأعمال التنقيب في بابل، وقد حل محله بعد الحرب العالمية الثانية ابنه علي الذي كان مسؤولاً عن التنظيم المحلي لأعمال الحفر. وقد كان لأمانتهما في العمل وصدقهما ووفائهما أثر

كبير في دفع أعمال البعثة إلى الأمام وفي تجاوز الحالات الصعبة. علي بن اسماعيل كان هو أيضاً الذي اكتشف موهبة موهار رمَيْن من عشيرة الطوبة وأخذ بيده. وما يزال موهار رمين هو وعائلته مرتبطين بشكل وثيق ببعثة الوركاء منذ أكثر من خمسين عاماً. وفي نهاية السبعينيّات سُمّي من قبل إدارة الآثار العراقية حارساً رسمياً لأوروك. ويعود إليه الفضل في أن هذا الموقع بقي سليماً طيلة حرب العراق مع إيران وأثناء حرب الخليج ١٩٩١/٩٠ وفي فترة الحصار الطويل التي تلت ذلك. (MvE)



> هـ. لنتسن : عند دفع الأجور /
H.J. Lenzen, paying the workmen, 1963 / H. Lenzen 1963: Lohnauszahlung



أوروك – نتائج بحث

على مسافة **٣٠٠** كم جنوبي بغداد ونحو **١٥** كم شرقي بلدة السماوة، كانت تقوم ذات يوم العاصمة العتيقة أوروك على الطرف الغربي من مركز بلاد سومر، في الأهواز بين نهري الفرات ودجلة. ومنطقة الأهواز بين بغداد والبصرة تمتد على مسافة **٦٠٠** كم لا يشوبها سوى انحدار بسيط يعادل **٤٠**م، فهي إذاً تكاد أن تكون مستوية تماماً. إلا أن بقايا ضفاف النهرين القديمة وبعض المرتفعات الرملية التي لا تلفت النظر كثيراً تؤكد، على الرغم من ذلك، أن الأرض متدرجة الارتفاع بصورة بسيطة. والنهران اللذان يشكلان كما منذ **٤** آلاف سنة ق م نظام قنوات ري متزايد التعقيد، مكّنا الإنسان من الاستيطان والزراعة في أشد أماكن الأرض حرارة. وفي أوروك كان الفرات مصدر الإمداد الضروري بالماء، ومؤخراً صار أحد فروعه المهمة هو المصدر.

لقد نشأت أوروك على الأغلب من قريتين كبيرتين أو من عدة قرى صغيرة متقاربة وُجدت في أواخر الألف الخامس ق.م، أي في عصر عُبَيد المتأخر. إذ سرعان ما توسعت هذه الأمكنة بحيث زاد اتساعها في النصف الثاني من الألف الرابع ق م عن **١٩** م متجاوزة مساحتها الأصلية بحيث بلغت مساحتها **٢,٥** كم². وبعد مدة قصيرة عند منعطف الألف الثالث ق.م ازداد اتساع المدينة حتى بلغت مساحتها القصوى **٥,٥** كم². وهذه المدينة المسورة صارت حينذاك أكبر مدن العالم القديم إلى أن احتلت بابل مساحة أوسع في القرن السابع ق م.

مع بدايات الألف الثالث ق م لم تكن المساحة الرئيسية للمدينة مستديرة تماماً، إلا أن شكلها كان قوي التعبير بفضل سور المدينة الذي لا يزال ظاهراً حتى اليوم. وحتى آخر مرحلة استيطان في المدينة (القرن الثالث الميلادي) كان هذا السور يفصل المدينة عن الضواحي والمنطقة المحيطة، من دون أن يتخذ دائماً طابعاً تحصينياً.

كان مركز المدينة منطقة مقدسة، إذ وجد فيه، على الأبعد منذ الألف الثالث ق م، معبد إلاهة الحب والحرب عشتار / إنانا، وكذلك معبد إله السماء أنو على الطرف الجنوبي الغربي. وهذا المركز هو أعلى نقطة في المدينة، ليس فقط بسبب تمركز زقورات معبد إنّنا العالي والذي ما زال باقياً حتى اليوم. فالمنطقة المحيطة بالمركز والأكثر انخفاضاً في جميع الجهات كانت مقسمة إلى أحياء مختلفة يتميز ارتفاعها بعضها عن بعض حسب مدة الاستيطان بتلال متسعة، كانت تفصلها بعضها عن بعض قنوات عريضة تخترق المدينة، ما زالت آثارها ظاهرة في التربة حتى اليوم كأخاديد طولانية ممتدة.

وقد جرى بين عام **١٩٨٢ – ١٩٨٤** مسح لمنطقة المدينة، تم في أثنائه توثيق جميع المخلفات الأثرية على خريطة، فتبيّن بجلاء من دون حفريات، العمر الاستيطاني لكل حي من أحياء المدينة، كما تبيّن في بعض الميادين الموقع الاجتماعي والوظيفي الذي شغله كل حي. وبين عامي **٢٠٠١ – ٢٠٠٢** استُخدمت أجهزة مسح مغناطيسية في جزء من المدينة للكشف عن طبقات العمران المطمورة تحت التلال، فلم تظهر فقط البنية الداخلية لكل حي من الأحياء، بل أيضاً توزعها وترابطها عن طريق الشوارع والقنوات، كما توضحت أيضاً البنية المركبة لسور المدينة. أضف إلى ذلك تبيانها المساحات التي خُصصت داخل المدينة من أجل الحدائق والحقول. إن عمليات المسح والطرق الجيوفيزيائية لا تسمح إلا في شروط معينة بالتعرف على تفاصيل الأبنية وبتحديد تواريخ نشأتها. وقطع الآثار المنقولة كأدوات الاستخدام اليومي والأواني الخزفية والرُقم والأعمال الفنية الصغيرة والكبيرة التي تزودنا بالمعلومات عن حياة المدينة لا يمكن الكشف عنها بهذه الطرائق. إن الآثار المتحركة والثابتة الضرورية للوصول إلى تقييم تاريخي، والمراقبة الفائقة الضرورة للعلاقة ما بين البقايا المعمارية وعمليات الحت، وكذلك الأغراض المتبقية تحت الرواسب، لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق التنقيب.

> أوروك: مركز المدينة، منظر من الجو، القوات الجوية البريطانية ١٩٣٥ /
/ Uruk, Zentrum der Stadt, Luftphoto der Royal Airforce 1935
Uruk, centre of the city, aerial photograph by the Royal Airforce, 1935

وهناك تنقيبات منتظمة في أوروك منذ عام **١٩١٢**. في البداية كان الاهتمام مركزاً على المعبدين في مركز المدينة. وبعد الحرب العالمية الثانية أضيف إلى ذلك أعمال فحص وتحليل لقصر الملك البابلي سين–كاشيد ولأحياء سكنية تعود إلى العصر البابلي الحديث والسلوقي – البارثي. وفي أحد الأحياء تم الكشف عن معبد صغير من العصر البارثي معروف باسم معبد كاريوس. ويمكن للإنسان التوصل إلى أفكار عميقة عن طريق عادات الدفن، لا سيما في العصر البابلي الحديث والسلوقي – البارثي، حيث غالباً ما كان يُدفن الموتى تحت أرض المنازل السكنية. ونظراً لاتساع مساحة المدينة فإن ما يزيد على أربعين حملةَ بحثٍ ميدانية عن طريق التنقيبات لم تشمل سوى أقل من ٪**٥** من حجم المدينة.

وعلى الرغم من ذلك فإن أعمال التنقيب تزودنا بصورة شاملة عن هذه المدينة الشهيرة. فقد كانت أوروك مأهولة من دون انقطاع لمدة **٤٥٠٠** سنة تقريباً بين نهاية الألف الخامس ق م والقرن الثالث ولربما القرن الرابع الميلادي. وبهدف فهم تعاقب المراحل العمرانية المبكرة وطابعها، تم بين **١٩٣٣–١٩٣٤** انطلاقاً من مستوى المعبد الكلسي (الجيري) من طبقة «أوروك **٥**» الذي يعود تاريخه إلى مطلع النصف الثاني من الألف الرابع



> أوروك: سور المدينة / Uruk: die Stadtmauer / The city wall of Uruk

ق م، تم التنقيب بمقطعِ حفرٍ بعمق مترين تحت مستوى سطح البحر.

فبعمق **١٩** م تم فحص ست طبقات من الاستخدام البشري ذات بنيات مختلفة في كل طبقة. وهي تثبت كيفية تسارع ارتفاع مركز مدينة أوروك في الألف الرابع ق.م عن طريق تتابع البناء بشكل مستمر.

يعود الفضل في شهرة تنقيبات أوروك إلى ظرف خاص: فمعبد إِنَّا



المخصص لعشتار/ إنانا في مركز المدينة حافظ حتى القرن **٢٢** ق م على شكل محدد، استمر على مدى **٢٥٠٠** سنة، على الرغم من التغييرات المعمارية الجذرية التي طرأت عليه. إذ بنيت في المركز زقورة محاطة بباحات (فُسحات، أفنية) ذات وظائف متباينة. وقد استخدمت هذه الباحات على مدى قرون طويلة من دون تغيرات تذكر. صحيح أن أسوارها الدائرية كانت تجدَّد بين حين وآخر، لكن الفسحة الداخلية للباحة/ الفناء لم تعمَر إلا في الحد الأدنى. ولذلك لم يوجد في باحات الألفين الأول والثاني ق م إلا القليل من بقايا الأبنية التي تستحق أن يُحافظ عليها. ولذلك تم الوصول بسرعة نسبياً إلى طبقات الألفين الثالث والرابع ق م. وفي نهاية

> المبنى الحجري من جهة الغرب /
The "Stone Building" from the west / Das Steingebäude von Westen

الألف الرابع، أي عصر أوروك المتأخر، تم العثور في مساحات واسعة على بقايا صروح معمارية هائلة، عُرفت باسم «معبد» طبقة أوروك الرابعة. وحتى اليوم لم يُكشف بعد في أي مكان آخر عن مثل هذه الصروح المعمارية ذات القيمة الرفيعة وفي مثل هذه المساحة الواسعة. ولذلك، وحتى الآن لا يمكن التوصل إلى معلومات جوهرية حول هذه المرحلة التاريخية إلا عبر تنقيبات أوروك.

المدينة الكبرى في حوالى ٣٢٠٠ ق م

في نهاية «عصر أوروك المتأخر» كانت مساحة المدينة قد بلغت ٢,٥ كم^{٢}، وبعد مرور قرابة ١٠٠٠ عام على عمرانها أخذت تمتد بشكل كبير فوق الأهوار المحيطة. وقد كشفت التنقيبات في مواضع مختلفة من مركز المدينة عن أبنية تعود إلى ذلك العصر. وعلى أطراف المركز تم التوصل إلى بعض الأفكار حول الحياة اليومية والصناعات اليدوية. وكان التطور اللافت هو أنه في تلك الحقبة – بعد اختراع القرص الدوار السريع لصناعة الفخار

> تعشيق أحجار سور المعبد الحجري /
/ Gegossenes Steinmauerwerk des Steinstifttempels
Poured masonry in the stone-cone temple

– كان الخزف يصنع وينتج بالجملة، مما يفترض توفر تشكيلات مجتمعية بالغة التنظيم.

في مركز مدينة أوروك كانت توجد مساحة ممتدة عليها عدة أبنية فاخرة، أي «معابد عصر أوروك المتأخر». أما وظيفتها – سواء كانت دينية أو دنيوية – فإنها لم تتوضح تماماً بعد، ولكن لا مجال للشك في أهميتها البالغة للمدينة



وربما أيضاً لمحيط أوروك الواسع آنئذ. وفي بعض المناطق تم العثور على كثير من مثل هذه الأبنية في طبقات عمران مختلفة وقائمة بعضها فوق بعض، ولكن في نطاق مساحة ممتدة لم يُكشف بعد إلا عن الأبنية الأحدث زمنياً. صحيح أن ما تبقى من أسوارها لا يتجاوز ارتفاعه سوى بضعة سنتمترات، لكنه سمح بتوثيق الأساسات وخصوصية عمارتها. وتتميز الأبنية بمساحاتها الواسعة وبتخطيط معماري دقيق وبتفصيلات مكلفة لواجهاتها الخارجية.

إن للأبنية المستطيلة الشكل نظام توزيع للفضاءات يحيط بصالة مركزية،

> «بناء شريطي» من نتائج التنقيبات في المعبر الشمالي الغربي /
/ „Riemchengebäude", Befunde im Nordwest-Umgang
The "Riemchengebäude", findings in the northwestern ambulatory

بأقلام حجرية ذات ألوان مختلفة. وفي أكبر بناء مكتشف «المعبد C » وجدت عوارض خشبية تدل على أن القاعة الوسطى التي يبلغ طولها ١٢ م كانت مغطاة. فخشب بمثل هذا الطول كان لا بد أن يُجلب من الجبال البعيدة، فهو إذاً ذو قيمة عالية جداً.

كما أن قطع المنحوتات الكبيرة التي عُثر عليها في أوروك والمنحوتات الحجرية البارزة والحيوانات الحجرية الصغيرة والأواني الحجرية التي نحتت بجهد وكلفة كبيرة أو الأختام الإسطوانية المشغولة بأسلوب رائع، لا تدل فحسب على غنى من أمر بصنعها ونفوذه، بل على القيمة المدهشة والقدرة الحِرفيّة العالية لصانعيها. ومن أهم ما عُثر عليه يمكن ذكر «الملك الصغير»، وجه من جزأين بالحجم الطبيعي: «سيدة الوركاء»، «مسلة صيد الأسود» أو الإناء النذري ذو المشاهد الطقوسية.

بالإضافة إلى هذا قامت أوروك بخطوة حضارية تمتد نتائجها المهمة إلى يومنا هذا: الخطوة التي أدت إلى اختراع الكتابة.

منذ العصر الحجري القديم، العصر الذي ظهرت فيه أولى الرسومات الملونة أو الرسومات المنقوشة في الصخر ومواد أخرى متبقية منه، تم العثور على رسومات تجريدية ومتكررة وعلى أغراض رمزية توحي بأن ذاك الإنسان قد بدأ مبكراً بتسجيل «ملاحظات» لنفسه أو بنقل أخبار إلى آخرين. وهذه النُظم المسماة تقنيات تقوية الذاكرة تعتمد على منح رموزٍ معينة معاني محددة. وفحوى معلومات الرموز لا يفهمه إلا ذاكَ المجتمعَ الذي حدد المعنى – حتى لو بدت لنا صورةٌ مفردة، ولربما حيوان أو أي غرض آخر، مفهومة اليوم. فمع اندثار المجتمع الذي يتواصل بهذه الطريقة تضيع أيضاً مقولات الصور. أما مع اختراع الكتابة فإن تطور تقنيات المعلومات قد خطا خطوة حاسمة إلى الأمام.

فنظام المعاني يزداد تجريداً؛ ثمة رموز تنوب عن غرض أو مقطع، وعن حرف في ما بعد، ولكن ليس عن أمرٍ بكامله متعلقٍ بقصة ما. ونظام الكتابة التجريدية يتابع تقنيات تقوية الذاكرةً المستخدمة في بلاد الرافدين منذ قرون



ولها أحياناً بناء رأسي متقدم بشكل الحرف T، وقد تتكون من قاعات بالغة البساطة، لكنها مرتبة عمرانياً بصورة بالغة التأثير. وتتبدى الواجهات إما في تفاصيل تزيينات الزوايا، وإما بأن تكون مزينة بفسيفساء صلصالي أو

> إناء الوركاء النذري / Cult vessel from Warka / Kultvase aus Uruk

عديدة ولربما منذ آلاف السنين. وهناك كما في منطقة سوسه (إيران حالياً) الواقعة إلى الشرق توجد على الأقل منذ أواخر الألف الخامس ق م أدوات منمنمة صلصالية تصور أغراض الحياة اليومية مثل أشكال الأواني، أو أشكالاً هندسية. نحو منتصف الألف الرابع ق م كانت حوامل المعلومات هذه وما شابهها توضع داخل كرات صلصالية مفرغة، وبناءً على دراسات منتظمة تبين أن نظام العلامات المتشكل من الأدوات المنمنمة كان يُستخدم لتعداد الأغراض ويُستفاد منه في الأعمال الإدارية. وفي حال الشك كانت تُكسر الكرة الصلصالية لفحص مضمون معلومة ما.

وفي خطوة لاحقة لم تعد الأغراض موجودة داخل الكرة الصلصالية، بل صارت تطبع على السطح الخارجي للكرة. فصار بإمكان الإنسان الآن قراءة معلومة على سطح الكرة الخارجي؛ وفي الحالات الاستثنائية، بهدف التحقق من الأمر، يمكنه كسر الكرة.

إن الخطوة المتبقية حتى اختراع الكتابة لم تعد كبيرة، والفضل في اتخاذها ينسب إلى مجموعة من الموظفين الإداريين الذين كانوا يعملون على الأغلب في أوروك. و من الواضح أن إدارة إقليم أوروك والعلاقات الدولية قد بلغت درجة من التعقيد، بحيث لم يعد العدد القليل من الرموز المنمنمة كافياً لاستذكار وحفظ الأعمال الحكومية. فبدلاً من ذلك تم تطوير عدد أكبر من العلامات المنقوشة التي صُنِّفت في لوائح. والكتابة التي يمكن إثبات نشأتها الأولى نحو ٢٣٠٠/٢٢٠٠ ق م كانت تستخدم في البداية حصراً لتوثيق الأعمال الحكومية.

كان في بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد لغتان متداولتان مختلفتان من حيث البنية والانتماء: السومرية، وهي لغة لَصْقية من السوابق واللواحق، لا يمكن نسبها بعد إلى أسرة لغوية معينة؛ والأكادية التي تنتمي إلى الأسرة اللغوية السامية. وقد تم تدوين كلتا اللغتين بنظام الكتابة المطور آنذاك، أما التفاصيل النحوية فإنها لم تكتب حينذاك. فكانت تكفي إذاً معرفة لوائح العلامات لفهم الخبر في أي لغة كان.

وعلى نقيض مصر تأخرت منطقة بلاد الرافدين في تدوين اللغة حسب بنيتها النحوية، وكان ذلك نحو الألف الثالث ق م. وعندئذٍ فقط بُدِئ باستخدام الكتابة لتدوين مختلف الأمور التي لا بد من حفظها، وبتدوين الأدب أيضاً.

في العديد من الملاحم السومرية تقع أوروك في مركز الأحداث. فسواء أبطال ملحمة كلكامش أو ملحمة لوغالباندا أو ملحمة إنمركار، كلهم ملوك أسطوريون من مدينة أوروك.

يُرجح أن هذه الملاحم قد دُوِّنت نحو نهاية الألف الثالث ق م، وهي تسرد وتعالج أحداثاً بعضها أسطوري وبعضها الآخر يبدو تاريخياً، تم تداولها شفهياً عبر مئات السنين. إن بعض نقاط الارتباط – النادرة في هذه الملاحم – بأحداث تاريخية، تتعلق بجنوبي بلاد الرافدين في الألف الثالث ق م، في حين أن مجالات الحياة الموصوفة تتصل بصورة أقرب بمعطيات تحدد آثارياً في النصف الثاني من الألف الرابع ق م باتجاه الانتقال إلى الألف الثالث.

تقدم ملحمة كلكامش، وكذلك ملحمة لوغالباندا بعض التنويهات القصيرة إلى بنية المدينة المعمارية: إذ يعتبر كلكامش باني سورها، وهي تمجّد أفعال لوغالباندا من أجل تأمين الماء لسكانها وحمايتهم من الفيضان. وفي ملحمة كلكامش يُذكر أن المدينة لا تشتمل على معبد واحد بارز فحسب، بل فيها إلى جانب الأحياء السكنية حقول وحدائق يحميها سور المدينة. وقد أمكن التعرف على مثل هذه المعطيات من عمليات المسح المغناطيسي التي أجريت عام ٢٠٠١ – ٢٠٠٢، وبربطها مع معطيات المسح الأثري فإن بداياتها تشير إلى هيكليات معمارية مدينية تعود إلى نهايات الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق م.

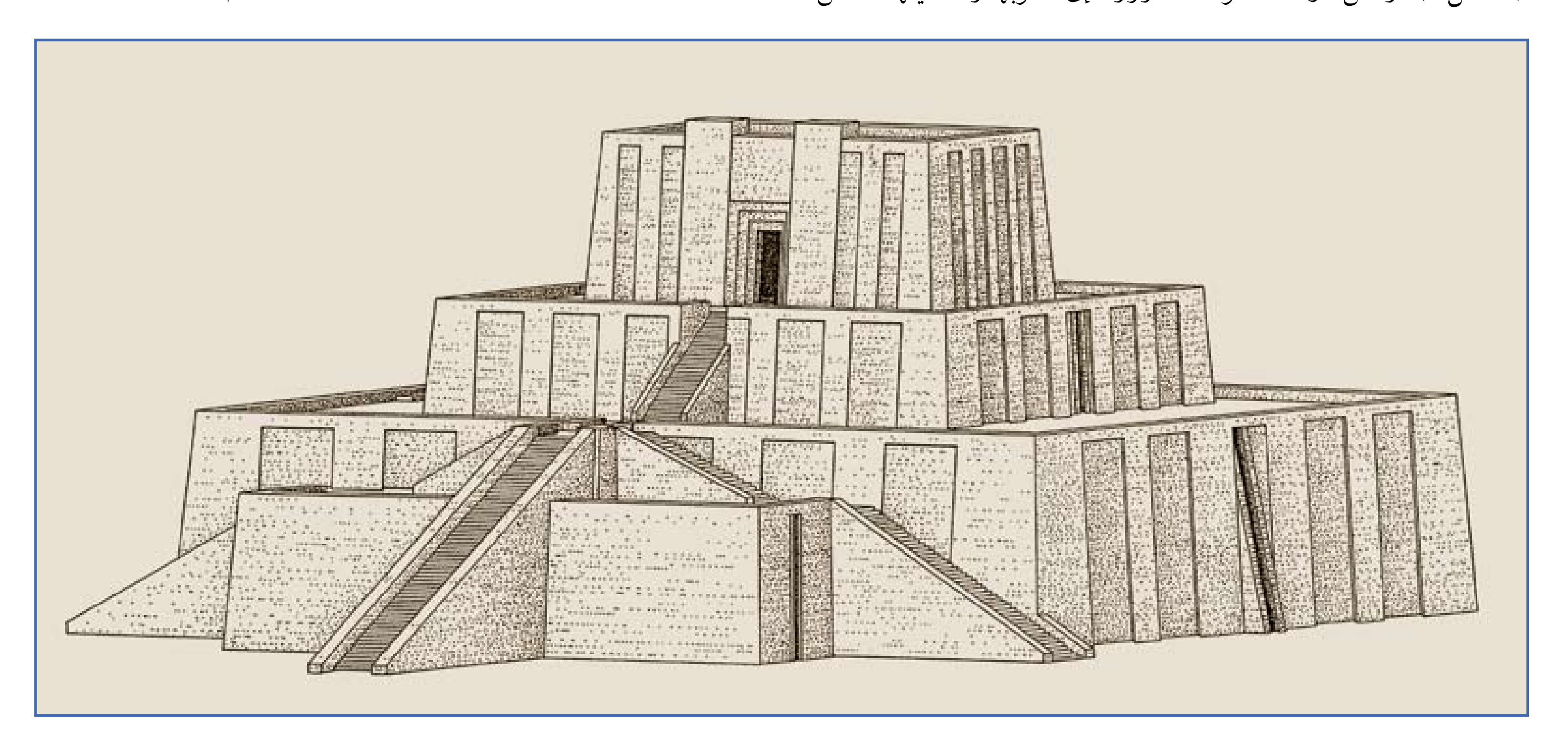
بالإضافة إلى ذلك تذكر الملاحم العلاقات الكثيفة بمناطق الجبال الإيرانية التي أثبت علم الآثار صحتها، لا سيما في عصر أوروك المتأخر، أي في النصف الثاني من الألف الرابع ق م. فالمنتجات الخزفية وأنواع المنتجات

اليدوية والفنية، بما في ذلك الأختام الحجرية المنقوشة تسمح بإعادة تصور العلاقات الوطيدة بين المنطقتين.

إن منقوشات عصر العُبيد – نتوقع هنا أختاماً أو طبعات ختم عنها – لم يوجد عنها أي أثر في أوروك. فإنَّ أقدم الأختام الأسطوانية تعود حتماً إلى مرحلة أوروك الخامسة ولربما أقدم قليلاً. أما في عيلام فهناك على العكس تقاليد نقش في شكل الأختام ما قبل التاريخية، وهناك أدلة على وجود الأختام الأسطوانية منذ عصر أوروك الوسيط. تثبت الكرات الصلصالية المختومة وغيرها وجود علاقات تجارية بين عيلام وأوروك (الشكل ١). ولا يستبعد في البداية أن يدير معلمٌ في نقش الأختام الأسطوانية من عيلام ورشةً لإنتاجها في أوروك أو أن يكون قد زودها بالإرشادات، وهذا ما يدل عليه (الشكل ٢). ولكن سرعان ما توصلت أوروك إلى أسلوبها وتشكيلها الخاص (الشكل ٣)، الذي استمر لاحقاً في منقوشات أوروك الرابعة (الشكلان ٤ و٥) والثالثة (الشكل ٦). (RMB)

تطور الزقورات النظامية

إن شكل بناء الزقورة،حيث ينتصب معبد على شرفة أو عدة شرفات، يصل إليه الإنسان عن طريق درج خارجي، يعود إلى عصر أوروك، والدليل على ذلك زقورة آنو في أوروك. وخلال قرون كثيرة وبتراكم الطبقات الجديدة بعضها فوق بعض، فإن أحدث وضع للشرفات الضخمة هو زقورة أنو في نهاية الألف الرابع ق م، على ارتفاع ١٢ م تقريباً فوق السهل. وإذا كانت مثيلاتها في أماكن أخرى قد تدمرت، فإن أساسات المعبد على هذه الشرفة المرتفعة هنا قد بقيت كاملة، وبسبب الطلاء الأبيض، عُرف المعبد باسم «المعبد الأبيض».



> أوروك: إعادة بناء زقورة. إانّا التي أمر بها أورنامّو /
/ Uruk, Rekonstruktion der Eanna-Zikkurrat von Urnammu
Uruk, reconstruction of the Eanna ziggurat built by Urnammu

في حين لم يعد من المؤكد وجود هذا الشكل من المعابد – بناء مقدس على شرفة مرتفعة – لاحقاً، عبر عدة قرون في جنوبي بلاد الرافدين، إذ حل محله معبد على شرفة منخفضة أشبه بالمنصة، فقد استعاد أورنمّو مؤسس السلالة الثالثة في أور، صيغة البناء القديمة وبنى نظائر جديدة لها، في الوقت نفسه تقريباً، في عدة أماكن في بلاد الرافدين. وأفضل مثالين هما زقورتا أور وأوروك حيث يوجد في كل منهما شرفتان مستطيلتان مرتفعتان بعضهما فوق بعض، ينتصب المعبد فوقهما. ويصل الإنسان إلى الشرفة السفلية التي يزيد ارتفاعها عن ١١م من طريق درج/ سلم على شكل الحرف T يتفرع محورياً عن الدرج الأوسط إلى درجين جانبيين مستندين على جدار الشرفة. ونظراً لاتباعها قانون نسب صارماً – وإن لم تلتزم المقاييس نفسها – فإن عمارة زقورات السلالة الثالثة في أور شديدة التشابه. فهي محاطة بعدة فسحات ذات وظائف متباينة، وهي في أوروك على الأقل موجودة من حيث المبدأ في المكان نفسه كما قبل مئات السنين. إن البناء الجديد لمعبد إنّا في أوروك إذاً لا يشكل بداية جديدة تماماً، بل بالأحرى إعادة ترتيب لتقاليد عبادة قديمة.

إن تطور طراز الزقورة الذي جرى في عهد أورنمّو، لم يُلحظ في جنوبي بلاد الرافدين إلا في منتصف الألف الثاني ق م (زقورة عقرقوف) أو في الألف الأول ق.م، حين بدأت شرفات المعابد المرتفعة تزداد عدداً حتى بلغت العدد السحري «سبعة» في برج بابل.

أساليب معمارية خاصة في العصر الكاشي

إذا استند الإنسان إلى أخبار «لائحة الملوك السومريين» التي جُمعت نحو نهاية الألف الثالث ق م والتي تتضمن تسلسلاً مضلِلاً لملوك السلالات القديمة، فقد لعبت أوروك في المرحلة المبكرة من تاريخ جنوبي بلاد الرافدين دوراً مهيمناً سياسياً. منذ منتصف الألف الثالث حتى نهاية عصر السلوقيين في القرن الثاني قبل الميلاد تمحور دور المدينة الخاص حول معبد إنانا / عشتار ذي الأهمية الدولية والذي احترمه معظم الملوك واهتموا به وجدّدوه.

وهذا يسري أيضاً على الملوك الكاشيين الذين قدموا إلى بلاد الرافدين كحكام غزاة أجانب، لكنهم سرعان ما تكيفوا بصورة كاملة مع الأشكال الثقافية السائدة. فاثنان منهم، هما كرا إنداش وكوريكالزو الثاني لهما فضل تجديد معبد إنّا، ولا سيما الزقورة، في القرن ١٥ و١٤ ق م، علماً بأنه لم تُلحظ تجديدات معمارية جوهرية. إلا أن كرا إنداش أمر ببناء معبد صغير على إحدى فسحات المعبد لا مثيل له في بلاد الرافدين من حيث الأساس والتزيين. وهو بناء مستطيل بقاعة واحدة ملتصق محورياً ببناء المعبد الرئيسي عند ضلعه القصيرة، أُبرزت زواياه معمارياً وزُينت واجهته بطبقة من الآجر المنحوت تعرض بالتناوب آلهة المياه الذكورية والأنثوية. وتوجد حالياً أجزاء من هذه الواجهة في المتحف العراقي ومتحف برلين. وحتى الآن لا نعرف شبيهاً لهذا التزيين الآجري لواجهة معبد إلا في مدينة سوسه من القرن ١٢ ق م.

قاعدة السلطة في العصر الآشوري الحديث والبابلي الحديث (ق٦ – ٨ ق م)

بعد مرحلة جفاف مناخية طويلة حدثت في جنوبي بلاد الرافدين حركة نزوح على مستوى السكان، أدت إلى أن استوطن الكلدانيون الجنوب الأقصى للعراق، وهم مجموعة قبائل شبه بدوية. وكان موقع أوروك في الوسط بين هذه القبائل، ولا سيما في مناطق بيت أموكاني وبيت ياكين وبيت داكوري. ولهذا السبب صارت المدينة مهمة في مرحلة الغزوات الآشورية في جنوبي بلاد الرافدين ومرت سواء تحت حكم الملوك الكلدانيين وبعد الاحتلال تحت حكم الملوك

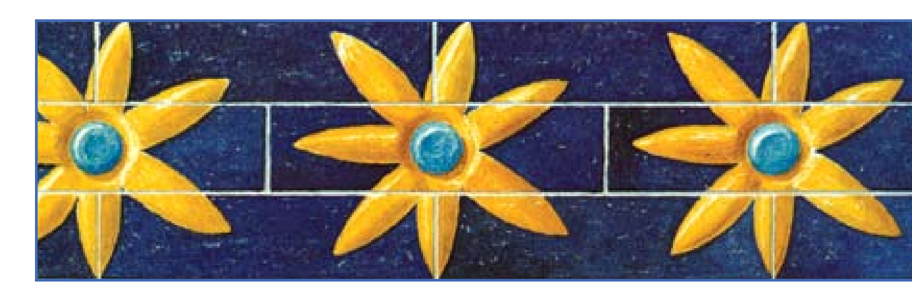


> شاهدة الملك نابونيد / Nabonid(?)-Stele / Stela of king Nabonid(?)

الآشوريين مراحل توسع وإعادة بناء متعددة، ثبت وجودها آثارياً، خاصة معبد إِنّا كما في المناطق السكنية المتوسعة مباشرة في جوار المعبد. إن أول علمية إعادة بناء كبيرة هي التي أمر بها عام ٧١٨ ق.م الملك مردوخ – أبال – إدّينا، وذلك ضد سرجون الثاني الآشوري، ونفذها في أثناء حملات الاحتلال. بعد مدة قصيرة وقعت أوروك تحت السيطرة الآشورية، فقام سرجون الثاني آنئذٍ بمتابعة عملية إعادة بناء المعبد، ولكن باسمه. ومن المحتمل أن أوروك حينذاك كانت تتبع المعسكر المعادي للآشوريين، إذ يبدو أن سنحاريب قد دمر المدينة عامَي ٦٩٤/ ٦٩٣ ق م. ولم تتم إعادة بناء المعبد إلا في عهد الآشوري أسَرحَدّون. ومنذئذ اتخذت أوروك موقفاً موالياً للآشوريين، فعرفت بذلك ازدهاراً سياسياً واقتصادياً، استمر أيضاً في أثناء العصر البابلي الحديث في ظل الحكام نابوبولاصَر ونبوخذ نصر الثاني ونابونيد، بل أيضاً بعد الاحتلال الفارسي لبابل عام ٥٣٩ ق م. ثمة آلاف من الرُقم المسمارية التي تضيء الأسس الاقتصادية وفعاليات ذلك الزمن وتبيّن العلاقات الوطيدة، أحياناً، بين أوروك والعاصمة البابلية من وجهة نظر سياسية، ولا سيما من منظور الاقتصاد الخاص.

النهضة «البابلية» في العصر السلوقي

لقد برز أول حاكم فارسي، وهو قورش الأول، ملكاً مشجعاً على البناء في ما يتعلق بمعبد إِنّا ومنطقة أوروك. فتم تجديد الزقورات والمعابد المنخفضة، وتحكي النصوص إضافة إلى ذلك عن قصر ملكي بالقرب من أوروك كان يُزوَّد بما يحتاج إليه من أوروك. وفي عصر الحكام الفرس حدثت



> زينة قرميدية مطلية بمادة لماعة من بيت رِش /
Glazed decorative brickwork from the Bit Resh / Glasierter Ziegelschmuck aus dem Bit Reš



أيضاً تغيرات جذرية في العبادة في أوروك. فمعبد إِنّا الذي استخدم في الحد الأقصى منذ الألف الثالث قبل الميلاد، استمرت فيه إقامة طقوس العبادة حتى فترة حكم داريوس. أما تحت حكم أرتاخِرخِس الأول والثاني فقد حظي إله السماء أنو بنهضة عارمة. ومع التوسيع الضخم لمعبد أنو المسمى «بيت –ريش» في العصر السلوقي وتوطيد عبادة عشتار في المعبد – المجمع «إريغال» فقدَ المعبد المقدس في مركز المدينة الكثير من أهميته؛ وقد انتقلت أمكنة العبادة إلى الطرف الجنوبي من مركز المدينة.

وعلى الرغم من تشييد هذه المعابد في العصر السلوقي فإن أسسها المعمارية ذات نموذج بابلي صرف. فكلا البنائين يشتملان على منشأة المعبد بترتيب مساحاته المعروف منذ القديم: قاعة واسعة مفتوحة المركز تسبقها قاعة أصغر، يمكن الوصول إليها عبر فسحات عديدة محيطة بها، وتؤدي أيضاً إلى قاعات أخرى. وفي هذا المعبد – المجمع كانت أماكن لوحدات المؤونة وللإدارة والإشراف.

ليست الأشكال المعمارية ذات التقاليد البابلية هي التي استمرت فحسب، بل أيضاً العبادات نفسها. إن معظم الرُقّم المسمارية التي عثر عليها

> تاج ذهبي من التل الشرقي في فريحات النوفِجي /
/ Goldkranz aus dem Osthügel der Frehat en-Nufeği
Golden wreath from the eastern tumulus at Frehat en-Nufeji

في معبد بيت–ريش وفي منازل خاصة أثناء أعمال التنقيب U/V١٨ مكرسة لمتابعة تقاليد أدبيات العبادة القديمة والعلوم البابلية والأعمال الأدبية؛ مما يدل بجلاء على الدور الفائق الأهمية الذي قامت به أوروك على هذا الصعيد. وكانت هناك بعض المكتبات الخاصة بعائلات بعض الكهنة تحتوي على مجموعات واسعة من الأدبيات العلمية بأوسع ما تعنيه الكلمة من معنى.

وعلى العكس من ذلك، تصوّر بعض الأختام على ظروف صلصالية، والظاهر أنّها كانت تحتوي بين نصوص مكتوبة على مواد زائلة، صور حكام سلوقيين بأسلوب هيليني. ويمكن التعرف على وجود شخصيات إغريقية على ظهور القبور عند الجهة الشمالية من المدينة مباشرة، والتي يضم كل منها شخصية بارزة زُوّدت بمتاع القبر حسب التقاليد الهيلينية الشرقية.

آخر مراحل العمران في مدينة أوروك

منذ ١٤١ ق.م انتقلت السلطة في بلاد الرافدين إلى الحكام البارثيين. وأوروك تقع على أحد أهم الطرق التجارية بين الخليج العربي – الفارسي وسورية، مما جعلها تعيش مرحلة ازدهار أخرى في تاريخ عمرانها الطويل.

لقد تمت الاستفادة من جميع ضواحي المدينة، إذ وصلت أوروك في زمن البارثيين إلى أقصى اتساع سكني في تاريخها. إلا أن المعابد – المجمعات هُجرت دينياً وصارت تؤدي خدمات دنيوية. وحتى الآن هناك ما يدل على وجود معبدين جديدين في العصر البارثي: معبد كاريوس في جنوب شرقي المدينة بالإضافة إلى ملحق صغير تابع لمعبد أنو – أنتوم القديم (القرن الثاني الميلادي). ومن الواضح أن شكلهما المعماري مستعار من طراز بناء المعابد الهيلينية – الرومانية. حتى على صعيد الحياة اليومية يُلحظ في هذه الحقبة التغلغل القوي للأسلوب الغربي، الأمر الذي يتجلى في أشكال الأواني والتماثيل الطينية والأدوات المعدنية.

حتى عندما سيطر الساسانيون على أوروك في منتصف القرن الثالث الميلادي بقيت أوروك كثيفة السكان. ولكن سرعان ما يُلحظ انتقال العمران إلى الضواحي الشرقية، قبل أن يتقلص استيطان المنطقة في القرنين الرابع والخامس الميلاديين حتى هُجرت المدينة نهائياً.



< تاج ذهبي من التل الشرقي في فريحات النوفجي /
/ Goldkranz im Osthügel der Frehat en-Nufeği
Golden wreath in the eastern tumulus at Frehat en-Nufeji



< معبد كارِيوس في جنوب شرق المدينة /
/ Der parthische Gareus-Tempel im Südosten der Stadt
The Parthian Gareus temple in the southeast of the city